دور الشريعة في محاربة الشائعات وأثر ذلك على الاستقرار

(دراسة تطبيقية على حد القذف)

إعداد

د. محمد سالم ناجي سالم

المعيد بقسم أصول الفقه بالكلية

دور الشريعة في محاربة الشائعات وأثر ذلك على الاستقرار (دراسة تطبيقية على حد القذف)

محمد سالم ناجي سالم

قسم أصول الفقه، كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: mohamedsalem.12@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يتناول البحث خطر الشائعات وما يترتب عليها من تهديد لاستقرار المجتمع. وفي سبيل الوصول إلى تناول الكلام على القضية فقد دار البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس للموضوعات. أما المقدمة: ففي عناية الإسلام بالفرد والمجتمع. وأما المبحث الأول: فجاء في تعريف الإشاعة لغة واصطلاحاً، وأنواع الشائعات، ونماذج من الشائعات في السابق. وأما المبحث الثاني: فكان عن حد القذف متناولاً تعريفه والأدلة على تحريمه وشروط تطبيقه التي تتعلق بالقاذف، والشروط التي تتعلق بالمقذوف، والشروط التي تتعلق بالصيغة. وأما المبحث الثالث: فكان عن منهج الإسلام في التعامل مع الشائعات متضمناً: التثبت من الخبر قبل نقل وإشاعته. الرجوع إلى أهل العلم. أن يستعمل الإنسان عقله للوصول إلى الحقيقة. وضع الشرع عقوبة لمن لا يتثبت من صحة الكلام.

الكلمات المفتاحية: الإشاعة، حد القذف، القاذف، المقذوف، استقرار المجتمعات، التثبت من الخبر.

The role of Shariah in fighting rumors and its impact on stability

(Applied study on the limit of ejaculation)

Mohamed Salem Nagy Salem

Department of Jurisprudence, Faculty of Shariah and Law, Al-Azhar University, Cairo, Arab Republic of Egypt.

E-mail: mohamedsalem.12@azhar.edu.eg

Abstract :

The research deals with the danger of rumors and the consequent threat to the stability of society. In order to reach a discussion of the issue, the research presents an introduction, three chapters, a conclusion and an index of topics. As for the introduction: The concern of Islam for the individual and society. As for the first topic: It defines rumors, linguistically and idiomatically, and the types of rumors, and examples of rumors in the past. As for the second topic: It is about the limit of slander, addressing its definition, the evidence for its prohibition, the conditions for its application that relate to the slanderer, the conditions related to the projectile, and the conditions related to the formula. As for the third topic: It is about the approach of Islam in dealing with rumors, including: Verify the news before transmitting and spreading it. Asking for the opinions of the scholars. - A person has to use his mind to reach the truth. Shariah law sets a penalty for those who do not verify the authenticity of the speech.

Keywords: Rumor, The extent of slander, The slanderer, The slandered, The stability of societies, The verification of the news.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

فإن الإسلام حافظ على أتباعه من كل ما ينغص عليهم معيشتهم، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ترك خيرا إلا ودلنا عليه، وما وجد شرا إلا وحذرنا منه، ووضع الشرع لنا من التشريعات ما يحفظ علينا عقولنا وأفكارنا وحياتنا، فتجد أن الله يدعونا إلى التثبت من صحة الكلام لكي لا نندم، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحذرنا من خطورة الكلمة، وكيف أنها تؤدي بقائلها إلى النار إذا كانت من سخط الله، ونجد في حياتنا أنه بسبب كلمة تقام الحروب بين الدول، وبسببها تحدث الكوارث، وبسببها يحدث الشقاق بين أفراد الأسرة الواحدة، وفي ظل التطور الهائل في التكنولوجيا، وما وصل إليه العالم من تقدم في هذا المجال، ومن ذلك القنوات الفضائية، ومواقع التواصل الاجتماعي، والتي تتيح لأي أحد أن يقول ما شاء دون ضوابط، فلذلك اعتنى الإسلام بحفظ اللسان، وكيف أن الإنسان إذا حافظ على لسانه ضمِن له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجنة، لذا تحدثت في هذه السطور عن الإشاعة ومدى عناية الإسلام بحماية الفرد والمجتمع من الشائعات وذلك بالتطبيق على حد القذف.

خطة البحث

اشتمل هذا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس للموضوعات.

أما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن عناية الإسلام بالفرد والمجتمع.

وأما المبحث الأول: تحدثت فيه عن تعريف الإشاعة لغة واصطلاحاً، وأنواع الشائعات، ونماذج من الشائعات في السابق.

وأما المبحث الثاني: فتحدثت فيه عن حد القذف متناولاً تعريفه والأدلة على تحريمه وشروط تطبيقه التي تتعلق بالقاذف، والشروط التي تتعلق بالمقذوف، والشروط التي تتعلق بالصيغة.

وأما المبحث الثالث: فتحدثت فيه عن منهج الإسلام في التعامل مع الشائعات متضمناً:

- التثبت من الخبر قبل نقل وإشاعته.
- الرجوع إلى أهل العلم.
- أن يستعمل الإنسان عقله للوصول إلى الحقيقة.
- وضع الشرع عقوبة لمن لا يتثبت من صحة الكلام.

وأما الخاتمة: فتحدثت فيها عن أهم النتائج.

المبحث الأول

تعريف الإشاعة

الإشاعة في اللغة:

إن كلمة الإشاعة في قواميس اللغة تدور حول الانتشار والتفرق والوصول إلى كل فرد أو عدد كبير من الأفراد يقال: شاعَ الخبرُ يَشِيعُ شَيْعوعَةً، أي ذاع[1]. وقولهم: هذا خبر شائع، وقد شاع في الناس، معناه: قد اتصل بكل أحد، فاستوى علم الناس به، ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض[2]. وجاء في النص القرآني: إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[3]

الإشاعة في الاصطلاح:

عرفت الإشاعة بتعريفات كثيرة أذكر منها:

الإشاعة هي: بث خبر من مصدر ما في ظرف معين، ولهدف يبغيه المصدر دون علم الآخرين، وانتشار هذا الخبر بين أفراد مجموعة معينة[4].

أو هي: عبارة عن رواية مصطنعة عن شخص أو جماعة أو دولة يتم تداولها شفهياً أو إعلامياً، وهي مطروحة لكي يصدقها الجمهور دون أن

(١) الصحاح٣/١٢٤٠ مادة: شيع، ومختار الصحاح ص ١٧١ مادة: شيع.

(٢) تاج العروس ٣٠١/٢١ مادة شيع.

(٣) سورة النور من الآية ١٩.

(٤) الإشاعة للدكتور أحمد نوفل ص١٦.

تتضمن مصادرها ودون أن تقدم دلائل مؤكدة على كونها واقعية[1].

أنواع الإشاعات

تتعدد أنواع الإشاعات تبعاً للخبر المشاع، والهدف من الإشاعة، وأذكر من هذه الأنواع:

- الإشاعة الحقيقية: هي ذات مصدر موثوق وحقيقة مؤكدة تقال لاستبيان تأثير الخبر على سامعه ويتم على ضوئه استنتاج ما يحتاجه ذلك الموضوع من تعديلات وتغييرات قبل إلزام تنفيذه أو تطبيقه.
- الإشاعة الإستنتاجية: وهي نتيجة استقراء تطبيقات معينة خلال فترة محددة، وتصدر من أي شخص بحسب تعلمه وثقافته وإلمامه بجوانب الموضوع، وتبعا لذلك تصدق هذه الإشاعة في كثير من الأحيان كلما زاد ذلك الشخص قربا من الموضوع إلماما ومعرفة، وتخيب كلما زاد جهله فيه.
- الإشاعة الحالمة: وهي نتيجة مشاعر نرجسية وأوهام وتمنيات تصدر عن فئة لا تعيش الواقع بجميع أبعاده ومعطياته وميئوس من صدقها كما يئس الكفار من أصحاب القبور.
- الإشاعة الكاذبة: ومصدرها مَن نشأ في بيئة غير صحيحة درج على إلقاء الكلام جزافا، ويكره من يحقق معه في مصداقية كلامه، ولا يحب المواجهة، ونجده ينتقي سامعيه حتى لا يكون عرضة للمسائلة.

(١) أساليب مواجهة الشائعات ص٢٣٢.

- الإشاعة الحاقدة: وهذه أخطر أنواع الإشاعات على الإطلاق بدءا من إشاعة يغرسها عدو البلد بين المواطنين لبلبة الرأي العام، وانتهاء بما يتقوله البعض من أصحاب النفوس المريضة في حق إخوانهم وجيرانهم وزملائهم؛ إشباعًا لرغبات النفس الأمارة بالسوء[1].
- الإشاعة الزاحفة: وهي التي تروج ببطء وهمس وبطريقة سرية[2].

نماذج من الإشاعات:

إذا نظرنا إلى الإشاعة نجد أنها قديمة منذ أن خلق الله البشرية وهي موجودة ، فقد حكى لنا القرآن الكريم قصة سيدنا آدم –عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ – وزوجه مع إبليس اللعين، وكيف أنه قال لهما أخباراً كاذبة ليصل إلى مبتغاه من إغوائهما، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[3].

ثم تتوالى بعد ذلك الإشاعات في جانب أفضل البشرية على الإطلاق ألا وهم أنبياء الله ورسله عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ فما بعث نبي إلا وتجد أن قومه يروجون الإشاعات ليصدّون الناس عن دين الله، فهذا هو نبي الله نوح –عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ– مع

(١) الأبعاد النفسية والاجتماعية في ترويج الإشاعات عبر وسائل الإعلام وسبل علاجها من منظور إسلامي ص١٦-١٧. نقلا عن: الحرب الإعلامية: نموذج الإعلام المقاوم في لبنان.

(٢) أساليب مواجهة الشائعات ص ٢٣٤.

(٣) سورة الأعراف، من الآية ٢٠.

قومه اتهموه بالجنون، كما جاء في القرآن: ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾[1]، وها هو هود -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مع قومه، قالوا عنه: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾[2] .

وهذا هو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع فرعون، قال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾[3]، ثم أصبحت هذه الكذبة كأنها حقيقة بين قومه! يتداولها الناس ويروجون لها، قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ . يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[4]، ولم يكتفِ فرعون بقول الإشاعة بل روج لها وأرسل جنوده ليشيعوا في الناس أن هذا الرجل لا يتبعه كثير من الناس، بل إنهم قلة قليلة، يقول الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾[5].

وهذه هي مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ الطاهرة النقية، يتهمها قومها بالزنا دون تثبت ودون أن ينتظروا ليعلموا الحقيقة، ﴿قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا . يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[6]

وهذا هو نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اتهمه قومه بشتى أنواع الاتهامات وروجوا ما استطاعوا لكل أنواع الإشاعات بغية أن يصلوا إلى ما أرادوا، على أنه

(١) سورة القمر، من الآية ٩.

(٢) سورة هود، من الآية ٥٤.

(٣) سورة الشعراء، آية ٣٤.

(٤) سورة الأعراف، الآيتان ١٠٩و١١٠.

(٥) سورة الشعراء، الآيتان ٥٣-٥٤.

(٦) سورة مريم، الآيتان ٢٧و٢٨.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له من المكانة ما لم تكن لغيره من البشر فكان يلقب بالصادق الأمين، وارتضوه حكماً عند الاختلاف على الحجر الأسود، لكن الشرك والضلال أعمى بصيرتهم وبصرهم، فاتهموه بالسحر والكذب، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾(١)، واتهموه بالشعر والكهانة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ . وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ . تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٢) على أن كل هذه الافتراءات والتهم لم يصدقوها هم أنفسهم وإنما المكابرة جعلتهم يروجون الإشاعات حقداً وحسداً، ومن ذلك ما جاء من أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقل به فقال: بل أنتم فقولوا وأسمع قالوا: نقول إنه كاهن قال: ما هو بكاهن لقد رأينا الكهّان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه قالوا: فنقول: إنه لمجنون قال: ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا: فنقول إنه شاعر ، قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشاعر قالوا: فنقول ساحر قال: ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم قالوا: فما تقول يا أبا

(١) سورة ص ، آية ٤.

(٢) سورة الحاقة، الآيات من ٤٠-٤٣.

عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لمغدق، وإن فرعه لجناة وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك[1]" إلى غير ذلك من الإشاعات التي لا يقصدون من ورائها إلا تضليل الناس عن دين رب العالمين.

ثم تتوالى الإشاعات في حق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتأتي إشاعة مقتله في غزوة أحد، غير أن هذه الإشاعة ذات طبيعة خاصة لأن بسببها خارت عزائم المسلمين حينما نادى منادٍ ألا إنّ محمّدا قد قتل، فانفضّت صفوف المسلمين، وتراجعت قريش بعد هزيمتها، وخلص العدوّ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرموه بالحجارة، حتّى وقع لشقّه، وكسرت رباعيته اليمنى السّفلى، وجرحت شفته السّفلى، وضربه ابن قمئة اللّيثي على وجهه، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، وضربه آخر على رأسه حتّى هشم البيضة، وكانوا أحرص شيء على قتله، فعصمه الله عزّ وجلّ منهم، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثابت ينادي أصحابه، فلم يلو عليه أحد، إذ لم يعرفوه، وظنّوا أنّه قد قتل[2].

وهذا هو الظرف الدقيق الذي خارت فيه عزائم كثير من الصحابة المطوقين، الذين لم يكونوا مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وانهارت معنوياتهم، حتى وقع داخل صفوفهم ارتباك شديد، وعمتها الفوضى والاضطراب، إلا أن هذه الصيحة خففت بعض التخفيف من مضاعفة

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ص٢٣٢، والسيرة النبوية لابن كثير ٤٩٩/١.

(٢) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ص٢٨٠.

هجمات المشركين لظنهم أنهم نجحوا في غاية مرامهم، فاشتغل الكثير منهم بتمثيل قتلى المسلمين[1].

ولم تكن الإشاعات في شخص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط، بل إنها تعدت إلى أهل بيته، وأحب نسائه إلى قلبه، وهي حادثة الإفك التي أشيعت على السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي تحكي لنا ما حدث، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا، خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ، وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ، وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ أَظْفَارٍ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ العُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الهَوْدَجِ، فَاحْتَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي، فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ، فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بن المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية ٢/٤٠٩.

بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ يَدَهَا، فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدُ اللَّهِ بن أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي، أَنِّي لاَ أَرَى مِنَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ»، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المَنَاصِعِ مُتَبَرَّزُنَا لاَ نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ العَرَبِ الأُوَلِ فِي البَرِّيَّةِ أَوْ فِي التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي، فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا، فَقَالَتْ: يَا هَنْتَاهْ، أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَسَلَّمَ فَقَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ»، فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا، قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلِيَّ بن أَبِي طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بن زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلاَ نَعْلَمُ

وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟»، فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنِ العَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بن أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»، فَقَامَ سَعْدُ بن مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا، فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بن عُبَادَةَ - وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ - فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لاَ تَقْتُلُهُ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ، فَثَارَ الحَيَّانِ الأَوْسُ، وَالخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المِنْبَرِ، فَنَزَلَ، فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا، وَسَكَتَ وَبَكَيْتُ يَوْمِي لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ البُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي، وَأَنَا أَبْكِي، إِذِ اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لاَ يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ

كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ، قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، وَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ القُرْآنِ، فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[1] ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلَأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ، حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الجُمَانِ مِنَ العَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا، أَنْ قَالَ لِي: «يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللَّهَ، فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ»، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ، لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلاَ أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ ،

(١) سورة يوسف، من الآية ١٨.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾[1] الآيَاتِ[2].

فأنزل الله تعالى براءتها من فوق سبع سماوات، وعاب على الذين يسمعون الكلام ويرددوه دون أن يقفوا على حقيقته ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾[3]، ثم يحذرنا الله تعالى من خطر هذه الآفة العظيمة بقوله: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[4].

والشرع لم يترك الناس تخوض في أعراض غيرهم دون عقوبة؛ بل وضع عقوبات لمن يتكلم في أعراض الناس، ومن هذه العقوبات حد القذف، وهو ما سأتحدث عنه في المبحث التالي:

(١) سورة النور، من الآية ١١.

(٢) صحيح البخاري ٣/١٧٣-١٧٤ كتاب: الشهادات، باب: باب تعديل النساء بعضهن بعضا، حديث رقم: ٢٦٦١. وصحيح مسلم ٤/٢١٢٩-٢١٣٠ كتاب التوبة، باب: باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، حديث: ٢٧٧٠.

(٣) سورة النور، الآية ١٢.

(٤)سورة النور، الآية ١٧.

المبحث الثاني

حد القذف

يأتي الكلام على حد القذف كمثال تطبيقي يوضح مدى عناية الإسلام بمحاربة الإشاعات والافتراءات، والكلام على حد القذف يتضمن تعريفه، وأبدأ بتعريف حد القذف:

الحد لغة: الحاجز بين الشيئين، وحد الشيء منتهاه، والحد: المنع، ومنه قيل للبواب: حداد[1].

والقذف في اللغة: الرمي بالسهم والحصى والكلام وكل شيء[2].

وحد القذف اصطلاحاً: رمي مخصوص وهو الرمي بالزنا صريحا وهو القذف الموجب للحد[3].

وقد دل على تحريمه: الكتاب، والسنة، والإجماع.

أما الدليل على تحريمه من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[4].

(١) الصحاح ٤٦٢/٢، ومختار الصحاح ص ٦٨.

(٢) تاج العروس ٢٤١/٢٤، ولسان العرب ٢٧٧/٩.

(٣) الاختيار لتعليل المختار٩٣/٤، وتبيين الحقائق ١٩٩/٣، الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٧٠/٢١.

(٤) سورة النور، آية ٤.

يعني الذين يرمون المحصنات العفيفات الحرائر ثم لم يأتوا بأربعة شهداء يشهدون على كلامهم فاجلدوهم ثمانين جلدة[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

فكل هذه الآيات توضح حرمة القذف وأن الله تعالى جعل الجلد في الدنيا والوعيد في الآخرة لمن يتكلم في أعراض الناس.

والدليل على حرمة القذف من السنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ»[4].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا

(١) تفسير البغوي ١٠/٦.

(٢) سورة النور، الآية ٢٣.

(٣) سورة النور، الآية ١٩.

(٤) صحيح البخاري ١٠/٤كتاب الوصايا، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ حديث: ٢٧٦٦، وصحيح مسلم ٩٢/١، كتاب الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، حديث: ٨٩.

تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[1].

وعَنِ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ شَهْرُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ "، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ - حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»[2].

(١) صحيح مسلم ١٩٨٦/٤ كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، حديث: ٢٥٦٤.

(٢) صحيح مسلم ٣٠٥/٣ كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث: ١٦٧٩.

وأجمعت الأمة على حرمة القذف وأنه من الكبائر [1].

ما يشترط في القذف: للقذف شروط لابد من توافرها حتى يصبح جريمة تستحق عقوبة الجلد.

وهذه الشروط منها ما يجب توافره في القاذف، ومنها ما يجب توافره في المقذوف، ومنها ما يجب توافره في الشيء المقذوف به.

شروط القاذف:

والشروط التي يجب توافرها في القاذف هي:

١ - العقل.

٢ - البلوغ.

٣ - الاختيار.

لان ذلك أصل التكليف، ولا تكليف بدون هذه الاشياء.

شروط المقذوف:

وشروط المقذوف هي:

١ - العقل: لان الحد إنما شرع للزجر عن الاذية بالضرر الواقع على المقذوف، ولا مضرة على من فقد العقل فلا يحد قاذفه.

٢ - البلوغ: وكذلك يشترط في المقذوف البلوغ، فلا يحد قاذف الصغير والصغيرة.

(١) حاشية ابن عابدين ٤٤/٤، وروضة الطالبين ١٠٦/١٠، والمغني لابن قدامة ٨٣/٩.

٣ - الإسلام: والاسلام شرط في المقذوف، فلو كان المقذوف من غير المسلمين لم يقر الحد على قاذفه عند جمهور العلماء.

٤ - العفة: وهي العفة عن الفاحشة التي رمي بها سواء أكان عفيفا عن غيرها أم لا، حتى أن من زنا في أول بلوغه ثم تاب وحسنت حالته وامتد عمره فقذفه قاذف، فإنه لا حد عليه.

وإن كان هذا القذف يستوجب التعزير لأنه أشاع ما يجب ستره وإخفاؤه.

ما يجب توفره في المقذوف به: أما ما يجب توفره في المقذوف به، فهو التصريح بالزنا أو التعريض الظاهر، ويستوي في ذلك القول والكتابة.

ومثال التصريح أن يقول موجه الخطاب إلى غيره: " يا زاني " أو يقول عبارة تجري مجرى هذا التصريح، كنفي نسبه عنه.

ومثال التعريض كأن يقول في مقام التنازع: "لست بزان ولا أمي بزانية"[(١)].

هذا وهناك شروط مختلف فيها بين الفقهاء لا مجال لذكرها.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الإسلام حافظ على أعراض الناس ومنع كل ما يؤدي إلى تدنيسها بالقول أو الفعل، حتى لو تكلم أحد في عرض

(١) ينظر هذه الشروط في: تحفة الحبيب على شرح الخطيب ١٨٢/٤، والفقه الميسر ١٣٩/٧، وفقه السنة ٤٤١/٢، والموسوعة الفقهية الكويتية ١١/٣٣، والفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي ٥٤٠٥/٧.

أخيه فإما أن يكون مع شهود على ذلك أو أنه يقام عليه حد القذف، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]، فيجب أن يتوفر أربعة شهود وإلا جلد القاذف، وهو ما يؤكده حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ هِلاَلَ بن أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «البَيِّنَةُ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا، يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ البَيِّنَةَ؟[2].

فما شرعت هذه التشريعات إلا حفاظاً على استقرار المجتمع من التفرق والتشتت ولا يعتدي أحد على أحد بالقول أو بالفعل.

(١) سورة النور، الآية ٤.

(٢) صحيح البخاري ١٧٨/٣ كتاب الشهادات، باب إذا ادعى أو قذف، فله أن يلتمس البينة، وينطلق لطلب البينة، حديث: ٢٦٧١.

المبحث الثالث

منهج الإسلام في التعامل مع الشائعات

لقد وضع الإسلامُ ضوابطَ للتعامل مع مثل هذه الأخبار، ولم يترك الناس إلا ورسم الطريق الصحيح الذي يوصل بالإنسان إلى بر الأمان، ومن هذه الضوابط ما يأتي:

أولا: التثبت من الخبر قبل نقله وإشاعته، فإن الإنسان إذا تثبت من الخبر قبل الحكم عليه فإنه يسلم من كثير من العواقب التي تؤدي إلى الندم بعد ذلك، وقد لا ينفع الندم بعد صدور الحكم من الشخص، وفي ذلك يقول الله تعالى: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ[1].

فهذا نداء للمؤمنين يدعوهم إلى التحلي بهذه الصفة الحميدة، وكيف أن المؤمن إذا امتثل أمر الله فاز في الدنيا والآخرة، وإذا لم يمتثل خسر الدنيا والآخرة، وما أجمل التعبير القرآني حيث قال: فتصبحوا على ما فعلتم نادمين.

ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضرب لنا أروع الأمثلة في التثبت وعدم التسرع في صدور الحكم، كما جاء في حادثة الإفك، ولك أن تتخيل رجل يؤذى في عرضه وأي إيذاء! إنه اتهام بالزنا، ومع ذلك كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخل على السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ويقول كيف تيكم؟ فما تعجل بكلام ولا نهرها.

(١) سورة الحجرات، الآية ٦.

وفي هذا المعنى أيضاً ما جاء من أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط. وسبب ذلك ما رواه سعيد عن قتادة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث الوليد بن عقبة مصدقا إلى بني المصطلق، فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهابهم- في رواية: لإحنة كانت بينه وبينهم-، فرجع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام. فبعث نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلا، فبعث عيونه فلما جاءوا أخبروا خالدا أنهم متمسكون بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد ورأى صحة ما ذكروه، فعاد إلى نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره، فنزلت هذه الآية[1].

ثانياً: الرجوع إلى أهل العلم:

إن الله تبارك وتعالى أمرنا بالرجوع إلى العلماء، قال تعالى: وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا[2].

وسبب نزول هذه الآية أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يبعث السرايا فإذا غَلبوا أو غُلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم، فيفشونه ويحدثون به قبل أن يُحدَث به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيضعفون به قلوب المؤمنين فأنزل الله تعالى وإذا جاءهم -يعني: المنافقين- أمر من الأمن -أي: الفتح والغنيمة-

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١١/١٦.

(٢) سورة النساء، الآية ٨٣.

أو الخوف والقتل والهزيمة- أذاعوا به أشاعوه وأفشوه، ولو ردوه إلى الرسول إلى رأيه ولم يحدثوا به حتى يكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي يحدث به، وإلى أولي الأمر منهم، أي: ذوي الرأي من الصحابة مثل: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم، أي: يستخرجونه وهم العلماء، أي: علموا ما ينبغي أن يكتم وما ينبغي أن يفشى[1]، فلو أن الإنسان رجع إلى أهل العلم والفضل بعد سماعه للخبر وتأكد من صحة الخبر من عدمه لما ترتب على ذلك أضرار بل إنه يفوز في الدارين إن شاء الله.

ثالثاً: أن يستعمل الإنسان عقله للوصول إلى الحقيقة، فالله تعالى ميّز الإنسان بالعقل وكرمه على سائر مخلوقاته قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[2] فيجب على الإنسان أن ينظر في الأمر ويتحرى الصواب، وهذا هو الطفيل بن عمرو الدوسي كان يحدث أنه قدم مكة ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل شريفا شاعرا لبيبا، فقالوا: يا طفيل إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل بين أظهرنا، قد عضل بنا وفرق جماعتنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبينه وبين زوجه، وإنما نخشى عليك وعلى قومك، فلا تكلمه ولا تسمع منه. قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه، حتى حشوت أذني كرسفا، فرقا أن يبلغني من قوله، وأنا أريد أن لا أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم يصلي عند

(١) تفسير البغوي= معالم التنزيل في تفسير القرآن ٦٦٧/١.

(٢) سورة الإسراء من الآية ٧٠.

الكعبة، قال: فقمت قريبا منه، فأبى الله إلا أن يسمعني قوله، فسمعت كلاما حسنا، قال: فقلت في نفسي: واثكل أمي! والله إني لرجل شاعر لبيب ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع هذا الرجل ما يقول! إن كان الذي يأتي حسنا قبلته، وإن كان قبيحا تركته. قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى بيته، فتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قالوا لي كذا وكذا، ثم إن الله أبى إلا أن أسمع قولك، فسمعت قولا حسنا، فأعرض علي أمرك. قال: فعرض علي الإسلام، وتلا علي القرآن، قال: فوالله ما سمعت قولا قط أحسن منه، ولا أمرا أعدل منه، فأسلمت، وقلت: يا رسول الله، إني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية، تكون لي عونا عليهم فيما أدعوهم إليه، فقال: " اللهم، اجعل له آية[1].

رابعاً: وضع الشرع عقوبة أخروية لمن لا يتثبت من صحة الكلام:

فإن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في حديث الرؤيا الذي أخرجه الإمام البخاري رحمه الله بين لنا جزاء الكذاب الذي يروج للشائعات وكيف أنه يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، وجاء في هذا الحديث: "... فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ - أَوْ صَخْرَةٍ - فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ، فَضَرَبَهُ، قُلْتُ:

(١) أسد الغابة ٣/٧٧.

مَنْ هَذَا؟ .... أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ"[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[2].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق»[3].

وحرم الإسلام الغيبة قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[4].

وعن أبي هريرة، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»[5].

الإشاعات في نظر القانون:

ولم ينس القانون المصري عقوبة من يروج للإشاعات بقصد تكدير

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث: ١٣٨٦.

(٢) صحيح مسلم ١٠/١، مقدمة الكتاب، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، حديث: ٥.

(٣) صحيح البخاري ١٠٠/٨ حديث ٦٤٧٧.

(٤) سورة الحجرات من الآية١٢.

(٥) صحيح مسلم ٢٠٠١/٤ كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، حديث: ٢٥٨٩.

السلم العام، ويعكر صفو البلاد، لأن خطر الإشاعة أشد من خطر الحرب بالسلاح؛ لأن الحرب النفسية أشد أنواع الحروب خطراً؛ لأنها تستولى على عقل الإنسان وتفكيره، وتنص المادة (١٨٨) من قانون العقوبات على أن: يعاقب بالحبس مدة لا تجاوز سنة وبغرامة لا تقل عن خمسة آلاف جنيه ولا تزيد على عشرين ألف جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من نشر بسوء قصد أخبارا أو بيانات أو إشاعات كاذبة أو أوراقا مصطنعة أو مزورة أو منسوبة كذباً إلى الغير إذا كان من شأن ذلك تكدير السلم العام أو إثارة الفزع بين الناس أو إلحاق الضرر بالمصلحة العامة.

وما نص عليه القانون المصري والشريعة الإسلامية من قبل إنما هو من قبيل المصلحة العامة التي يجب على المجتمع أفراداً وجماعات أن يسعوا إلى تحصيلها.

الخاتمة

بعد هذا العرض السريع لخطر الإشاعات على الفرد والمجتمع ومدى عناية الإسلام بحماية البشرية واستقرارها، **نوجز أهم النتائج**:

١- حافظ الإسلام على المجتمع واستقراره حفاظاً شديداً.

٢- وضع الشرع عقوبات لمن يخوض في أعراض الناس.

٣- إن الإسلام هو الذي حافظ على حقوق الآخرين من مال أو دم أو عرض وهو ما لمسناه فعليا وليس كما نسمع عن –بعض- جمعيات حقوق الإنسان الغربية التي تدعي أنها تحافظ على حقوق الإنسان.

٤- خطر الإشاعة عظيم فقد تودي بالمجتمع إلى الهاوية بسبب كلمة تقال بقصد أو من غير قصد كما رأيناه في غزوة أحد عند إشاعة مقتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أهم التوصيات:

١- على المجتمع أن يتصدى للشائعات وأن يقف بالمرصاد أمام هذه المصيبة التي لا تفرق بين الصالح والطالح.

٢- على الدعاة أن يبينوا للناس من خلال الخطب والندوات والمحاضرات خطر هذه الكارثة

٣- ولا ننسى أن الإعلام له دور خطير في هذه المهمة فيجب عليه أولا أن لا يروج للشائعات وثانياً أن يتصدى لها.

٤- على الدولة أن تضع ضوابط ومواثيق شرف للإعلاميين، فلا يتحدث الإعلامي إلا عن حقيقة ولا يزين للناس الباطل على أنه حقيقة.

٥- كذلك النظر في البرامج الحديثة وبالأخص مواقع التواصل الاجتماعي بوضع الرقابة التي لا تتعدى على حقوق الآخرين ولا تفرط في حقوق المجتمع.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع **الصفحة**

المقدمة ٣٤٧
خطة البحث..... ٣٤٨
تعريف الإشاعة في اللغة..... ٣٤٩
تعريف الإشاعة في الاصطلاح..... ٣٤٩
أنواع الإشاعات..... ٣٥٠
نماذج من الإشاعات ٣٥١
المبحث الثاني..... ٣٦٠
حد القذف في اللغة ٣٦٠
حد القذف في الاصطلاح..... ٣٦٠
الأدلة على تحريم القذف ٣٦٠
شروط القاذف ٣٦٣
شروط المقذوف..... ٣٦٣
شروط الصيغة ٣٦٤
المبحث الثالث: منهج الإسلام في التعامل مع الشائعات..... ٣٦٦
التثبت من صحة الكلام..... ٣٦٦
الرجوع إلى أهل العلم ٣٦٧
أن يستعمل الإنسان عقله للوصول إلى الحقيقة..... ٣٦٨
وضع الشرع عقوبة أخروية لمن لا يتثبت ٣٦٩
الإشاعات في نظر القانون..... ٣٧٠
الخاتمة..... ٣٧٢
فهرس الموضوعات..... ٣٧٤